

تفسير البحر المحيط

@ 16 @ ومعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ({ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ } جملة حالية فيها تهديد ووعد . أي : إنَّ مَنْ كَانَ مِنْ مَطْلَعٍ عَلَى أَعْمَالِهِ مُشَاهِدًا لَهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ لَا يَنَاسِبُهُ أَنْ يَكْفُرَ بِآيَاتِهِ ، فَلَا يَجَامِعُ الْعِلْمُ بِأَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِ الْكَافِرِ بِآيَاتِ اللَّهِ ، لِأَنَّهُ مِنْ تَيْقُنِ أَنَّ اللَّهَ مُجَازِيهِ لَا يَكَادُ يَقَعُ مِنْهُ الْكُفْرُ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ . وَأَتَتْ صِيغَةُ (شَهِيدٌ) لِتَدُلُّ عَلَى الْمُبَالَغَةِ بِحَسَبِ الْمُتَعَلِّقِ . لِأَنَّ الشَّهَادَةَ يَرَادُ بِهَا الْعِلْمُ فِي حَقِّ اللَّهِ ، وَصِفَاتُهُ تَعَالَى مِنْ حَيْثُ هِيَ لَا تَقْبَلُ التَّفَاوُتَ بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ . فَإِذَا جَاءَتْ الصِّفَةُ مِنْ أَوْصَافٍ لِلْمُبَالَغَةِ فَذَلِكَ بِحَسَبِ مُتَعَلِّقَاتِهَا . وَتَقْدِّمُ الْكَلَامِ عَلَى (لَمْ) وَحَذْفُ الْأَلْفِ مِنْ مَا الِاسْتِفْهَامِيَّةُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْجَارُ . وَقَوْلُهُ : (عَلَى مَا تَعْمَلُونَ) مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ : شَهِيدٌ . وَمَا مُوصُولَةٌ . وَجُوزُوا أَنْ تَكُونَ مُصَدَّرِيَّةٌ ، أَيْ عَلَى عَمَلِكُمْ . . { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ لِمَنْ * تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُوزَها عُرُوجًا * وَأَنْزَلْتُمْ شُهَدَاءَ وَمَا اللَّهُ بِغَفَّارٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } لَمَّا أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ كُفْرَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَضَلَالَهُمْ ، وَلَمْ يَكْتَفُوا حَتَّى سَعَوْا فِي إِضْلَالِ مَنْ ءَامَنَ ، أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ تَعَالَى ذَلِكَ ، فَجَمَعُوا بَيْنَ الضَّلَالِ وَالْإِضْلَالِ { مِنْ سُنْدُسٍ * سِنَّةٍ * سَيِّئَةٍ * فَعَلَّاهُ } . وَصَدَّ : لَازِمٌ وَمُتَعَدٌّ . يَقَالُ : صَدَّ عَنْ كَذَا ، وَصَدَّ غَيْرُهُ عَنْ كَذَا . وَقِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ : يَصْدُونَ ثَلَاثِيًّا ، وَهُوَ مُتَعَدٌّ وَمُفْعُولُهُ مَنْ ءَامَنَ . وَقَرَأَ الْحَسَنُ : تَصَدُّونَ مِنْ أَصَدَّ ، عَدَى صَدَّ الْإِزْمَ بِالْهَمْزِ ، وَهُمَا لُغَتَانِ . . وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ : .

أَنَاسٌ أَصَدُّوا النَّاسَ بِالسِّيفِ عَنْهُمْ .

وَمَعْنَى صَدَّ هُنَا : صَرَفَ . وَسَبِيلُ اللَّهِ : هُوَ دِينُ اللَّهِ ، وَطَرِيقُ شَرْعِهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهَا تُذَكَّرُ وَتُؤَنَّثُ . وَمِنْ التَّأْنِيثِ قَوْلُهُ : % (فَلَا تَبْعُدُ فَكُلَّ فِتْنَى أَنَاسٍ % . سَيَصْبِحُ سَالِكًا تِلْكَ السَّبِيلَا .

%) .

قَالَ الرَّاعِبِيُّ : وَقَدْ جَاءَ { مَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ } دُونَ قُلْ ، وَجَاءَ هُنَا قُلْ . فَيَدُونَ قُلْ هُوَ اسْتِدْعَاءٌ مِنْهُ تَعَالَى لَهُمْ إِلَى الْحَقِّ ، فَجَعَلَ خُطَابَهُمْ مِنْهُ اسْتِلَانَةً لِلْقَوْمِ لِيَكُونُوا أَقْرَبَ إِلَى الْإِنْقِيَادِ . وَلَمَّا قَصَدَ الْغَضَّ مِنْهُمْ ذَكَرَ قُلْ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّهُمْ غَيْرُ مُسْتَأْهِلِينَ أَنْ يُخَاطَبَهُمْ بِنَفْسِهِ ، وَإِنْ كَانَ كَلَامُ الْخُطَّابِينَ وَصَلَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) . وَأُطْلِقَ أَهْلُ الْكِتَابِ عَلَى الْمَدْحِ تَارَةً ، وَعَلَى الذَّمِّ أُخْرَى . وَأَهْلُ الْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ لَا يَنْطَلِقُ إِلَّا عَلَى الْمَدْحِ ، لِأَنَّ الْكِتَابَ

قد يراد به ما افتعلوه دون ما أنزل الله نحواً : { يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ }
{ وقد يراد به ما أنزل الله . وأيضاً فقد يصحُّ أن يُقال على سبيل الذمِّ والتهكم ، كما
لو قيل : يا أهل الكتاب لمن لا يعمل بمقتضاه ، انتهى ما لخص من كلامه . .
والهاء في يبغونها عائدة على السبيل . قال الزجاج والطبري : يطلبون لها اعوجاجاً .
تقول العرب : ابغني كذا بوصل الألف ، أي اطلبه . أي وأبغني بقطع الألف أعني على طلبه .
قال الزمخشري : (فإن قلت) كيف يبغونها عوجاً وهو محال ؟ (قلت) فيه معنيان : أحدهما
: أنكم تلبسون على الناس حتى توهموهم أنَّ فيها عوجاً بقولكم : إن شريعة موسى لا تنسخ ،
وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم) عن وجهها ، ونحو ذلك . والثاني : أنكم
تتعبون أنفسكم في إخفاء الحق ، وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو أقوم من
كل مستقيم انتهى . وقيل : يبغون هنا من البغي وهو التعدي . أي يتعدون عليها ، أو فيها
. ويكون عوجاً على هذا التأويل نصبه على الحال من الضمير في تبغون